شئونها الداخلية وزاد من نفوذهم كثرة تغيير الولاة العثمانيين وعزلهم، فضعف شأنهم ، وتراجع نفوذهم . بينما زاد المماليك نفوذا ، لاحتفاظهم بعصبيتهم ، بما استكثروا من الجند والأتباع الذين كانوا يشترونهم من بلاد الشركس والقوقاز والكرج ، كما استمالوا إلى جانبهم أفراد الحامية العسكرية ، إذ كان رجال « الوجاقات » قد استوطنوا مصر ، واستقروا بها واندمجوا فى أهلها ، واقتنوا الأملاك ، فضعف ارتباطهم بعاصمة السلطنة العثمانية، وكانت إدارة الحكومة المدنية والمالية بيد المماليك واليهم توزيع الأعطية والأرزاق على الجنود ، فصار هؤلاء تبعا لهم بحكم الروابط المادية ثم صار رؤساء الوجاقات وأغلب ضباطها من المماليك ، فانحصرت السلطة العسكرية والمدنية فى أيديهم . وهكذا اندمج أفراد الحامية العسكرية العثمانية بالمماليك بأواصر المصاهرة ولحمة القربى فأصبحوا ضمن حزبهم ومن أهلهم وعشيرتهم بعد أن كانوا معدين لحربهم وإخضاعهم . فتلاشت سلطة الولاة العثمانيين وعظم نفوذ المماليك واسترجعوا مع الزمن سلطة الحكم التى كانت للسلاطين البحرية والشراكسة ، وصار لرئيس المماليك الذى يختارونه زعيما لهم ويلقبونه باسم « شيخ البلد » النفوذ الذى لا يعارض والكلمة التى لا ترد ، وصارت مشيخة البلد بمثابة **إمارة مصر** . وعبث المماليك بالولاة العثمانيين ، فمن لا يرضون عنه يعزلونه ، وكانت طريقتهم فى ذلك ، أن يرسلوا رسولا إسمه « أوده باشى » (من ضباط الوجاقات) يذهب إليه حاملا قرار الديوان بعزله . فيدخل إلى مجلسه ويحييه بكل أدب وإحترام ثم يثنى طرف السجادة التى يجلس عليها الباشا ويعلن إليه قرار العزل بقوله